

الوعي الوطني في شعر صلاح الدين مرزوقي.

National Awareness in the Poetry of Salah Edin Marzouki.

* حنان بومالي

Hanane Boumali

جامعة المجاهد عبد الحفيظ بوالصوف - ميله (الجزائر).

University of Mujahid Abdelhafid Boualsouf, Mila (Algeria)

h.boumali@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 2026/09/02

تاريخ القبول: 2026/07/05

تاريخ الإرسال: 2026/03/15

ملخص البحث

يرتبط الأدب الجزائري المهجري بشتى أنواعه بالوطن والهوية والانتماء، لأنها تمثل أهم مقومات الأمة واستمرار وجودها وأصالتها، وسنقتصر الحديث في هذه المقاربة عن هاجس الوطن والهوية والانتماء في شعر مرزوقي صلاح الدين من خلال تتبع حركة العودة إلى الذات والتعامل مع الوطن، ليس بوصفه منطقة جغرافية فحسب، وإنما من منطلق جذوة الحس الوطني الذي ينتقد في عروق هؤلاء الشعراء المهاجرين. ولقد ارتبط شعره بهذا الهاجس حتى أضحت طاقة إبداعية تجسدت في محاولات متعددة اكتسبت أهميتها من خلال ارتباطها بالواقع السياسي والحضاري للأمة العربية والجزائرية على وجه الخصوص، لقد كتب الشاعر عن وطنه وعروبه وانتمائه، فكانت الجزائر حاضرة في كتاباته بمختلف الأشكال " تاريخا وحكاية شعبية ورمزا وشخصا... وغير ذلك"، وإنما لنطمح في هذه المقاربة إلى كشف مؤشرات الوطن والهوية والانتماء لدى الشاعر، وآليات توظيفها في أعماله وبيان كيف جسّد هذا الهاجس في قصائده؟

الكلمات المفتاحية: الوطن، الهوية، الانتماء، الشعر المهجري، الوعي.

Abstract :

Algerian immigrant literature of all kinds is linked to the homeland, identity, and belonging because it represents the most important components of the nation, its continued existence, and its authenticity. In this approach, we will limit the discussion to the obsession with the homeland, identity, and belonging in the poetry of Marzouki Salah edin by tracing the movement of returning to the self and dealing with the homeland, not only as a geographical area, but also from the standpoint of the flame of the national sense that burns in the veins of these immigrant poets.

His poetry was linked to this obsession until it became a creative energy embodied in multiple attempts that gained their importance through their connection to the political and civilizational reality of the Arab and Algerian nation in particular. The poet wrote about his homeland, Arabism and belonging, and Algeria was present in his writings in various forms: history, folk tales, symbols and characters...And so on." In this approach, we aspire to reveal the indicators of homeland, identity, and belonging in the poet, the mechanisms for employing them in his works, and to explain how he embodied this obsession in his poems? .

Keywords: Homeland, identity, belonging, diaspora poetry, awareness.



المقدمة:

منذ مطلع القرن العشرين والأمة العربية في معظم بقاع هذا الوطن الكبير، تعيش مواجهة مستمرة وصراعا حقيقيا من أجل الحفاظ على أرضها وحرمتها وكرامتها، وتحديد معالم شخصيتها، بعد أن طمست معالم هذه الشخصية بفعل عوامل خارجة عن إرادتها وبدوافع استعمارية، وتعد الجزائر إحدى أهم البؤر التي واجهت الاستعمار لتتألم حرمتها وهويتها بكل أبعادها الدينية والقومية والحضارية والإنسانية؛ بل إنها من أهم القضايا التي كان لها آثارها وأصدائها في الأمة العربية، وفي إذكاء مشاعر العرب نحو آفاق المطالب القومية والوطنية والائتماء.

ونظرا للوضعية الخاصة التي عاشها الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي الذي لم يكن من أهدافه إعاقة اللغة العربية عن الازدهار فقط، ولكنه وأدها وأحل لغته بديلا عنها ليتسنى له فرض هيمنته الثقافية إلى جانب الهيمنة السياسية والاقتصادية، فقد اضطر الجزائريون إلى مهاجرة وطنهم كرها وبجد السيف أحيانا، إما لطلب العلم من المعاهد العلمية المجاورة حفاظا على العروبة والإسلام، وتحديا للاستعمار الذي كان يسعى لوأدهم، وإما للنضال في سبيل القضية الوطنية.

وخلال أكثر من نصف قرن استغرقت هذه الهجرة أمكن للصحف والمجلات والمنشورات المختلفة أن تحتفظ لنا بتراث زاخر من العمل الإبداعي والفكري، وبأصداء مشرقة من النضال الوطني والعربي، الذي خاضه الجزائريون داخل الوطن وخارجه من أجل الحفاظ على هوية وطنهم واستقلاله وما التناج الأدبي الذي خلفته هذه الهجرة إلا دليل من الأدلة المقنعة على عمق اعتزازهم بالثقافة العربية، وحبهم العميق لوطنهم وأمتهم (الجابري، 2005: 7-8). إذ لم يشغلهم بعدهم عن التغني به ونصرتهم والدفاع عن قضاياها الجوهرية، فكانوا يسرون جنبا إلى جنب مع المثقفين داخله، ويدافعون عنه في كل المناسبات وفي غيرها.

وانطلاقا من هذا التصور تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في إبراز وظيفة الشعراء المهجرين في تفعيل الوعي الوطني والقومي من خلال أشعار صلاح الدين مرزوقي، المنتسب بالروح الوطنية والهوية والائتماء، والتي دافع عنها في قصائده المختلفة.

وعلى ضوء ما سبق تستوقفنا الإشكالية الآتية: كيف أسهم الشاعر صلاح الدين مرزوقي في بلورة الأبعاد الوطنية والقومية العربية في قصائده؟ ومحاولة منا الإجابة عنها اعتمدنا خطة شملت ثلاث نقاط، بدأنا بلمحة موجزة عن الشعر الجزائري المهاجر، ثم قمنا بمقاربة بعض نصوص الشاعر لنستخرج منها مؤشرات الوعي الوطني والهوية والانتماء لديه، من خلال حضور الوطن وسؤال الهوية ثم استجلاء الوعي القومي في نصوصه، واختتمنا الدراسة باستنتاجات حول الموضوع، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة قصائد الشاعر، واستنطاقها وتحليل مضامينها.

أولا- لمحة عن الأدب الجزائري المهاجر:

مما لا شك فيه أن الدارس للأدب الجزائري الحديث لا يستطيع إغفال صورة هذا الوجه المتميز من الإبداع، والذي أطل به هؤلاء الأدباء المهاجرون من مختلف دول العالم، وتتداعى ملامح هذا الوجه وتتجاذب لتتكون في النهاية الصورة العامة للأدب الجزائري المهجري، وهذا الأدب بصورته الجديدة لم ينفصل عن الأدب الجزائري خصوصا ولا عن العربي بشكل عام، وإنما كان لبنة أضيفت إلى صرح أدبنا الشامخ؛ فشارك في إعلاء البناء وشموخ التشييد، وهو مرتبط بأوثق الصلات ارتباط الانتماء والروح والبقاء.

ونلمس نوعين من الهجرة طالت أبناء الشعب الجزائري، هجرة بالفكر والرأي والقلم، وهجرة لطلب المعرفة والعلم، ولكل منهما وسطها الثقافي ومجالها وصلاتها، ثم إن البيئة الثقافية التي نشأ فيها الأدب الجزائري المهجري هي التي تحدد لنا المعالم الأساسية لهذا الأدب الذي كان ومنذ نشأته يؤكد وطنيته الجزائرية، وإخلاصه لانتمااته العربية والقومية (الجابري، 2005: 19).

ولعل أهم السمات الأساسية للشعر الجزائري المهجري تتلخص في التاريخ المشترك، واللغة، والجنس، ووحدة الهوية والانتماء، أو كما يقول صالح خرفي: «إن الشعر الجزائري الحديث بمختلف مضامينه وطرائق تعبيره، شعر نضال ووطنية وإصلاح اجتماعي وفكري وسياسي يستهدف القضية الوطنية في أوسع مجالاتها وأبعادها، وإن اتسمت منطلقاته أحيانا بضيق المناسبة واكتسب صيغة خاصة تبدو بعيدة عن مجال النضال السياسي.» (خرفي، 1984: 95)، ولذلك فإن الشعر الجزائري المهجري قد برزت فيه قضية الوطن والهوية والانتماء، كما لم تبرز في شعر آخر.

وفي هذا الإطار الفكري المشبع بالنخوة والحماسة والإخلاص للوطنية الجزائرية والمتدفق عروبة واندفاعا لتحقيق فكرة الجزائر الموحدة، والمتجاوب مع الأفكار العربية والطموح إلى تحقيق الهوية العربية نشأ وترعرع الشعر الجزائري المهجري في أوروبا والعالم العربي عموما، فكان صوتا قويا شجاعا مفصحا عن كل هذه الأفكار، معبرا بصدق عن اغترابه الآني، متجاوبا مع الأحداث القريبة والبعيدة، باختصار إن الشعر المهجري جزء من شعر الجزائر العامل من أجل تحديد الوطن والانتماء إليه.

وفي هذه الأصوات المهاجرة المتعددة نشير إلى أسماء كتاب جدد من أصل جزائري برزوا في فرنسا خلال العقدين الأخيرين، وهم في معظمهم من أبناء العمال المهاجرين، ممن أصبحوا يعرفون باسم "البور"، أو الجيل الثاني من العمال المهاجرين الجزائريين، أمثال زليخا بوقرط، وعلي غالم، ومهدي شارف، وجانيت لشمط، وأكلي تاجر، ومحمد كنتري، وناصر كتان، وصلاح الدين مرزوقي... وغيرهم، ممن يكتبون موضوعات لها صلة من قريب أو بعيد بالجزائر والجزائريين بحكم أصولهم الجزائرية.

حتى وإن تعلقت تلك الموضوعات بجوانب من صميم الحياة اليومية للمجتمع الفرنسي المعاصر، فإنهم يشككون بوجه من الوجوه، امتدادا وتطورا طبيعيا لأدب الجزائريين المحضرين باللغة الفرنسية، لاسيما ما تعلق منه بالهجرة الجزائرية في فرنسا، حتى وإن أنكروا هم أنفسهم هذا الامتداد ورفضوه بقوة، مع فارق في المستوى الفني لهذا الأدب، إذ يحكم عليه بعض الباحثين بأنه أدب متمرد، لا يعترف بالقواعد الفنية، ولا حتى بالقواعد اللغوية. (منور، 2007: 125-126)

وإذ نختار الشاعر "صلاح الدين مرزوقي" ميدانا للبحث عن دور الشعر المهجري في بلورة الوعي الوطني والهوية والانتماء فلأن الرجل في شعره مرتبط بالوطن إلى حد بعيد، بل إنه يتقاطع إلى حد بعيد مع الشعراء الذين لم يبتعدوا يوما واحدا عن أوطانهم، فيحسون كل الأحداث التي تدور رحاها في هذا الوطن، وفوق هذا فإنه يرسم صورة مثالية للوطن في أشعاره، تحفر قسائما في ذاكرة الأجيال من خلال الارتباط بالعروبة كقوة معنوية تدعم هاجس الهوية والانتماء إلى حد بعيد.

ثانيا- الوطن وسؤال الهوية:

يعد صلاح الدين مرزوقي من أبرز شعراء المهجر المتميزين ذوي الأصوات القوية المعروفة بطول النفس وعمق التجربة وكثافة اللغة، حيث يقول: «الإبداع رسالة أشبه برسائل الأنبياء صاحبها يبلغ الرسالة وهي مكتملة لها بداية لكن نهايتها عند القارئ، والشعر عندي لا يحاصره لا المكان ولا الزمان، قد تولد القصيدة عندي وأنا نائم أحضن الأحلام، حين تكون القصيدة في منطقة اللاشعور اعتبره نوما لها، وحين تخرج يعني انتقلت إلى منطقة الشعور إذ لا مكان لها ولا زمان... مكانها وزمانها هو الشاعر نفسه» (مرسلي، 2010).

وعليه فإن أهم المبادئ الضمنية التي تحكم قراءة شعر هذا الشاعر هي افتراض أولي بأن ما نتحدث عنه لا وجود له بشكل متعين في الواقع، بل هو شيء متخيل في اللاشعور غير محدد ولا معروف، ثم إن الأوصاف التي ستعطى لشعره تؤكد حبه للجزائر، وأنها تمثل البؤرة الساخنة في أشعاره التي تعكس وعيه القومي بأشكاله الإيديولوجية والتخييلية، والجرح الاغترابي الغائر في أعماق نفسه وروحه ووجدانه.

ولأن الوطن فكرة مغيبة لا يكشف عنها إلا الشعراء من خلال قصائدهم، وإذا كان الفرد يملك ارتباطا عاطفيا بالمكان الذي ولد فيه، حيث تمتد جذوره وتتحرك حواسه، فإن توسيع هذا الارتباط ليشمل منطقة واسعة تعكس ميزاتها الطبيعية والبشرية وتعمق الوعي الفطري لديه، يمثل نموذجا لصنع المثال والانتماء إليه، وهذه عملية شعرية بعمقها، حيث يتمكن الفرد أثناء ممارستها من رؤية نفسه والسعي وراء أحلامه، وتكوين انتمائه إلى العالم المحيط به. (فضل، 2002: 21)، والشاعر لا يفعل كل ذلك إلا إذا تلبس بحالة شعرية كأن يصبو إلى مرايع طفولته وماضيه ومعالمه، وتزداد هذه الحالة الشعرية إذا كان الشاعر مغتربا عن وطنه بعيدا عن معالمه وخواصه الطبيعية.

وللشاعر صلاح الدين مرزوقي أساليب متنوعة في تشكيل فكرة الوطن وتطويرها، حيث لا يعتمد على تعزيز الحالة الفطرية بشكل مباشر فقط، سوى في بعض الحالات والأوقات الصافية، حين يعود إلى ذكريات الماضي أو يشعر بالحنين إليه، كما في قوله: (مرزوقي، 2010)

حين أطوف شوارعك يا وطن،

يسكنني الحزن
بل يصبح الحزن وطنا
أسكنه...

إن الموقف النقدي من الحياة جعل علاقة الشاعرة بوطنه متوترة، جدلية معه، يعاني الاغتراب وهو في مسكنه، كأنه أبداً على سفر، مما جعله يعقد علاقة حميمة مع الحزن ويتخذ وطناً جديداً بدل الوطن الأول، وهو بهذا ينشد توليد صورة مثالية للوطن بالخلاف معه ومع معطياته التي لم يكن راضياً عنها البتة، وهذا الأمر يؤكد المقطع الموالي، حين يقول: (مرزوقي، 2010)

حين أرى أطفالاً يقتاتون من المزابل،
أشتاق إلى الموت...
أصير قصيدة حزينة
تبكي الحجر...

تكمّل معاناة الشاعر عندما يشاهد الأطفال يتغذون من القمامة، ويشعر بالرغبة في الموت، ولا يستطيع البدء من جديد مع بلاده، لأنه بات قصيدة حزينة تشبّر العواطف حتى الحجر تبكيه، ويسجل المتلقي لهذه الأبيات وجود دعوة صريحة تشجع على إحياء الروح الوطنية وتعزيز الإحساس بالانتماء الحقيقي، فصلاح الدين لا يتخلّى عن بلاده كما هو ظاهر؛ بل يعمق من استخدام الرمز ويكثفه ليحقق مبتغاه.

وهو الذي يعتبر الشاعر كثلة معقدة يصعب فهمها، ألم نشهد شعراء مجانين تخلصوا من المكان والزمان لكنهم قدموا للبشرية كنوزاً أدبية كلماتها من ماء الخلود لا تفنى (مرزوقي، 2010).

ولأنّ الحلم الشعري والهاجس الوطني مستحيل أن يتحقق خارج الكلمات، والصورة المثالية لا تقبل قيد الوجود الواقعي المتجسد، فإن صلاح الدين مرزوقي سرعان ما يتخذ موقفاً إيجابياً من وطنه، يتيح له أن يطور دلالاته ويولد الجديد من تجاربه المفعمة بالوطنية والهوية والقومية والانتماء، مبقياً دائماً على شعريّة الوطن الكامنة خلف المواقف والمتغيرات، يقول (مرزوقي، 2010):

علميني كيف أحبك
... وكيف أملك كل ما لديك
علميني سيدتي،
كيف أحلم
حين أقرأ كفك الأزرق
علميني كيف أنسى غريقي،
وأودع آخر بحوري،
كي أبحر بعيداً،
... وأغرق في عينيك.

يظل الوطن عند الشاعر الحلم الذي لم يولد بعد في العالم بأكمله، وهو عندما يغارله يقوم في حقيقة الأمر بتعديل المثال، وقياس حياته عليه، وبالتالي تأسيس لتوجه جديد غير الذي رأيناه في قصيدة "وطن الموت"، وإذا تمعنا هذه المقطوعة وتبعنا طريقته في إنتاج دلالة الشعرية، وجدنا أن تكوين الجملة الشعرية عنده هو الذي يختزن ويفجر معناها على المستوى النحوي والتركيب، فالسيدة التي يطلب منها أن تعلمه كيف يحلم، وكيف يصير طفلا جميلا بين يديها هو الوطن "الجزائر" الذي يقول عنه: «وطني هو اسمي هو اتناهي هو وجودي هو أنا، أنا لا أفكر في وطني بل أتفكسه، الجزائر في قلبي وفي فكري، سأتوقف عن الحياة يوم يتوقف قلبي عن حياها» (مفتي، 2009).

وأبرز ما يمثّل في قصيدة "علميني سيدي" هو تلك البؤرة المزدوجة التي توهمك بأنها تحرق في المشهد العجائي للأنتى، بينما هي غارقة في استبطان هاجس الوطن والانتفاء إليه، حيث أدرك الشاعر أن التغزل بالوطن يستدعي لغة حبلى بالرموز، لن يجد القارئ معناها في مبنائها حتى يفكك شفراتها أو يقشر طبقاتها، لبحث عن خيط المعنى المتواري خلف جذر اللغة المستخدمة في المتن الإبداعي عنده (مرزوقي، 2010):

كوني آخر رشدي وجنوني،
وأنسي كل همومي،
طلقي كبريائي،
علميني سيدي،
كيف أكتب قصصا عن الحب،
كيف أعجن من طين حبك
... أجمل قلب
علميني كيف أصبح أسيرا
... بين يديك
... وكيف أصبح حرا كالطير والقدر.

تمثل كاف الخطاب المؤنث امتدادا لإستراتيجية التعبير عند الشاعر، والذي يتميز بقدر واضح من التأسك والشفافية، حين يستخدم أدوات الترميز لتقريب هذه التجربة الحميمة بينه وبين وطنه، وتعميق الوعي المتواصل به، كما أن الكيفية التي يشكل بها خطابه والحركات التي يتخذها لتكوينه، تسهم بشكل كبير في التعبير عن همومه الشخصية والقومية وكشوفه الجمالية.

وإذا كان «الشعر خروجاً على قواعد النظام اللغوي المعتاد والأعراف اللغوية في الكتابة النثرية» (عثمان، 1988: 8)، فإن الشعر الجزائري المهجري مثلاً في شعر صلاح الدين مرزوقي يصح أن يكون خروجاً على هذا النظام من ناحية، وعلى الآليات السائدة لإنتاج المعرفة، وكشفاً لتناقضات الواقع المعيش من ناحية ثانية، وإن ولد في بيئة فرنسية لكن بصرخة عربية ومن طينة عربية، ولن يكون غير شاعر عربي بحروف عربية.

بساطة إن سر السحر الشعري لديه هو البساطة العفوية الآسرة، حيث نقرأ في القصيدة السابقة ذلك النفس الوادع الهادئ النضير، يمزج في نبرة واحدة بين قرار اليقين الواثق المفعم بالأمل، ورعشة الحب الوطني، لذلك يراوح بين تحنان الحب وهول البعد الجغرافي في اتساق عجيب، يقول: (مرزوقي، 2010)

حيرني سيدتي،
واشتعلي كشعاع، كنجم
في دهاليز ظلامي،
... يلمع
علميني كيف أحبك،
... وكيف لا أحبك
علميني كيف أنام كطفل جنبك،
تروين لي الأساطير
و... أسمع.

فيتحول سؤال الهوية عنده من مجرد غربة واشتياق إلى الحب الذي يمارس سطوته، وتصبح الذات رهينة التجاذب مع الوطن في ظل التحول إلى حقيقة الحب، وربما يصل هذا التحول إلى رغبة في التملك. كبديل موضوعي للتخفيف من إيقاعات الغربة والتساؤل ومراجعة الذات التي تتقد نكرانا وتمزقا وتتفجر قلقا وعذابا وإدانة لكل ما يهز هويتها.

ثالثا- الوعي القومي:

الترم الشاعر الجزائري الحديث بالقضايا التي تخص أمته العربية، إذ إن الظروف السياسية التي عاشها العرب في العصر الراهن، كانت لها تأثير كبير في تشكيل الوعي القومي والوطني، سواء كانت متعلقة بالاحتلال الأجنبي للأراضي العربية، وخصوصا البريطاني والفرنسي، أو بالتوسع الصهيوني، فقد كانت تلك الظروف مجتمعة من أسباب ظهور الشعر الوطني الذي أصبح جزءا من المقاومة العربية وإحيائها.

فلا نجد في الوطن العربي شاعرا لم يتطرق لهذا الموضوع، إذ تغلغلت فيه ملامح الهوية العربية ومشاعر الانتماء القومي ليصبح الحس القومي أساسا في الولوج إلى عالم الشاعر سواء من حيث الفكر أو الأدوات الفنية. ومن هذا المنطلق كان الشاعر صلاح الدين مرزوقي لسان حال أمته يغضب لأجلها، ويثور لكرامتها، ويفرح لانتصارها، كما كان الشاعر العربي القديم لسان حال قبيلته وعشيرته، يقول: (مرزوقي، 2025)

لا شيء في قصائدي يستحق الشعر
أحدق في الأمكنة كي أقرأ ما يستحق العيش لأجله، لا أجد
في محارب الأنبياء لا أجد
في رقرق الذين ينتظرون ما يستحق، لا أجد
في سيوف الذين قاتلوا من أجل شيء يستحق، لا أجد

في الشمس، الفجر، الفصول، المطر، العشب، والطيور، لا أجد
في صمت القاطنين، في صراخ الراضين لكل شيء، لا أجد
في ابتسامة لا تُستحق، لا أجد

في القادمين من رسائل الغيب، الحالمين الحاملين وصايا الله، لا أجد
في لحظة غاضبة في مضاجعة النساء في تاريخ الأندلس، الروم، الفرس، التتار، العرب، لا أجد
في التعب الذي لا ينقطع عن الحياة، في وردة في حب يعانق حباً آخر، لا أجد.....
لا شيء يستحق الحياة لأجله.

استهل الشاعر قصيدته بالنفي وختمها به، ليؤكد يأسه من العرب الذين استباحوا هويتهم وأسأوا إلى وحدتهم وقوميتهم، فلجأ إلى كل الأمكنة التي تستحق أن يكتب فيها شعرا، وإلى محارب الأنبياء، وسيوف الذين آمنوا بالشهادة لأجل نصرة أوطانهم، فلم يجد ما يستحق ذلك، ثم لجأ إلى الشمس والمطر والعشب والطيور والفجر...، في عملية انصهارية توحد بين الطبيعة وعناصرها لأجل تحقيق الوعي القومي العربي، فلم يجد شيئا يستحق الحياة وفعل الكتابة. والقصيدة في مجملها تعبر عن إدراك صلاح الدين مرزوقي لأهمية الوحدة الوطنية والعربية التي لا يمكن الحصول عليها من خلال الأماني؛ بل بحاجة إلى جهود متواصلة والتخلي عن النزعات القومية الضيقة، خاصة وأن قوة العرب وكثرتهم لن تعود عليهم بالنفع ما لم يتحدوا، وكَم من مجموعة صغيرة تستطيع تحقيق التفوق والنصر إذا اجتمعت وتكاتف مع الآخرين، لذا يعمل الأعداء على تفكيك الوحدة كي يضعفوا قوتهم ويحولوا أراضيهم إلى خراب مقارنة بالأمم الأخرى المتحدة

ويجعل الشاعر من عبارة "لا أجد" المكررة في هذا المقطع كلمة محورية، لأنها تحمل بنية دالة على صعيد السياق الذي وردت فيه، فعلى الصعيد الأفقي تتكرر العبارة لتؤكد أنه يبحث عن وحدة عربية قومية يكتب فيها شعرا يتغنى به ويتفاخر، كما تتكشف حدته من خلال تعميق الموقف الشعوري الذي يفتح على التاريخ العربي والإسلامي " تاريخ الأندلس، الروم، الفرس، التتار، العرب..."، ليشكل هذا التكرار مظلة شعرية تهمين على مناخ القصيدة وتحتويه. ولأن الإحساس بالعروبة والشعور بالانتماء إلى الأمة العربية كان إحدى السمات البارزة في الشعر الجزائري المغترب، فالنفس العربي أيضا كان ثابتا فيه، وتطور في شعره بتطور الأوضاع والقضايا الوطنية وتأزمها (الجابري، 2005: 53)، حتى إن القارئ ليشعر بالمرارة وبوخز الضمير بالأم الحاد، والأحزان المبرحة حين يطالع مثل هذا النوع من الشعر، خاصة إذا تعلق الأمر بثوابت الأمة ومقوماتها كالدين والعادات والتقاليد، يقول صلاح الدين مرزوقي (مرزوقي، 2010):

حين أرى بيوت الشرف،

صارت حانات،

ومانت الألفة في الرجل،

حين أرى أحياء أمواتا،

حين أرى المساجد مقابر،

حين أرى السيف قبل القلم

أُكفر بك يا وطن...

إن الشاعر في هذه المقطوعة من قصيدة "وطن الموت"، لا يبكي وطنه الجزائر فقط، وإنما يبكي الأمة العربية قاطبة، وقد أضاعت طريق الرشاد بفعل أبناءها الذين توانوا عن النهوض بها، وأسرفوا في إذلالها والعبث بمقوماتها، لقد أضاعوا بيوت العز والشرف واستبدلوها ببيوت الحمر واللهم، فأصبحوا بفعل ذلك أمواتا وهم أحياء، باعوا دينهم وملتهم حين سمحوا للمساجد بأن تحول إلى مقابر جماعية لإخوانهم، وحين توانوا عن طلب العلم الذي هو السيف الصارم للوصول إلى نهضتهم القومية والعربية والدينية، وهذه الأمور جميعها جعلت الشاعر يكفر بوطنه.

وهنا نرى شعرية الشاعر، وهي تتشكل وتتجلى في أسلوبه التعبيري عن قوميته وموقفه من وطنه، إذ يعتمد على عدد من التقنيات اللغوية، أبرزها مجموعة المتواليات بالتكرار، وهو ما يولد لدى المتلقي دهشة تستثير انتباهه وتحته على تكوين الصورة المقدمة عن هذا الوطن، فالبيت الثالث يمضي على نسق متوقع عندما يقول: "ماتت الأنفة في الرجل" فكل ما سيحدث بعد موت الأنفة متوقع، وهو ما تكشف عنه الأبيات التالية للبيت الثالث.

أما التقنية الثانية التي تؤذن بما سوف يصير ويصبح في هذا الوطن، فهي الاعتماد على فعل الرؤية في تكوين المستحيل الشعري، وذلك حين يكرر لفظة "حين أرى" ثلاث مرات، وإن كانت رؤية مؤجلة تصب في اتجاه تطلعه للمستحيل والراهن وتمثله لمعالمه، فهو يريد أن يرى عكس ما هو ماثل في وطنه، يريد أن يرى مساجدا ومدارسا ونخوة وغيرة وإباء، حتى لا يكفر بوطنه، وإنما يؤمن به ويعتز بالانتماء إليه، وهو الذي يقول عن نفسه «أنا لست أكثر ولا أقل من إنسان من أصل جزائري، إنسان يحمل هموم الرجل الشرقي معتبرا نفسه جزءا لما اسميه التراجيدية التاريخية للعرب» (مفتي، 2009).

يقف المتلقي بإزاء تكوين شعري إيديولوجي مستقطب لكل لحظات الوجود في قصيدة "ذاكرة المكان" يتأهى مع الرجال الأبطال في كل قطر عربي، ويرتكز على اعتصار الألوان والرموز، وينفث قدرا من التساؤل في رؤيته للمكان/الوطن بدءا من عتبة العنوان، فالذاكرة تعني التراث بكل ما فيه من تاريخ وحضارة ومخيل عربي وغير عربي، يقول (مرزوقي، 2012):

عجوز يحفر ذاكرة المكان
يخرج من بطنه حكايا بلون الماء
يكور من طينه وجوها بيضاء
... يبدو عليها الوقار
أسمع صهيلا وضحكات النساء
... وكأنهن يغارلن الهلال.

يتحرك صلاح الدين مرزوقي في هذا الأفق المطلق متلبسا قناع البطولة القومية، وهو يتوهم امتلاك روح أمته عن طريق هذه التفاصيل البصرية "يخرج من بطنه، لون الماء، وجوها بيضاء، يبدو عليها الوقار..."، والتي جعلت نصه مفعما بالتوزيع الإيقاعي المتوازن بين الأشطر الشعرية، وفي تناوب نسقي جميل، تتبادل فيه المرثيات والكلمة لعبة الغياب والحضور.

وما دامت كل قصيدة لها «سيناريو بالغ التحديد والصفاء، ولها بنية دلالية مكتملة لا تشكو الطول ولا القصر ولا الترهل، تدخل عالمها فتهديك إلى معالمها دون عناء، وتمتلك إيقاعها النفسي والموسيقي الفريد، وتشير إلى معطيات الحياة بألوانها الحقيقية.» (فضل، 1998: 46)، فإن قصيدة "ذاكرة المكان" تبني زمنها من تراكم الأفعال وتوالي المشاهد، كما نقرأ ذلك في مقطع منها (مرزوقي، 2012):

صوت يصلني صده...
من ظل العجوز تخنقني أصابعه الشفافة
أخبرني من قتل المكان؟
وما هذا الكتاب الذي في قلبك،؟
ولماذا لست أسمرا مثل هذه النحلة؟
قتلت المكان...

تنتفح اللغة الشعرية في هذه المقطوعة على كم مترابك من الدلالات النفسية والثقافية والإيديولوجية، حتى لكأن الشاعر يستعرض صراع الحضارات عبر دوال تعبيرية "العجوز، الكتاب، المكان، النحلة، السمرة..." تكشف عن مدلولات لها ارتباطها الخاص بالهوية والوطن والانتفاء، فالكتاب مثلاً يحمل معنيين "القرآن الكريم والكتاب المقدس"، والنحلة رمز الخصوبة والصمود والعروبة، في حين يدل العجوز على الوقار والخبرة الحياتية التي حيكها السنوات والمصاعب، وفوق هذا يستتبع هذه المدلولات جميعاً بلفظة المكان، التي تتكرر من العنوان إلى ختم القصيدة، وفي كل حين لا يستحضره إلا مقروناً بمدى فاعلية الإنسان فيه.

وإذا صحت المقولة التي مفادها أن «البنية المكانية لنص من النصوص تعد تحقفاً لأنساق مكانية أكثر عمومية يمكن تقصيصها في أعمال الشاعر، وتمثل في الوقت نفسه البنية الثابتة العميقة لمفهوم المكان في ثقافة هذا الشاعر» (عثمان، 1988: 14)، فإن هذه المقولة تنطبق على تشكل بنية المكان من خلال قصيدة "ذاكرة المكان" عند صلاح الدين مرزوقي، حيث يتخذ اتجاه الحركة مساراً دائرياً لا يقتصر على ذكر المفردات الدالة على الأمكنة وأشكالها الممكنة، بل يتحقق على مدار القصيدة من عتبة العنوان إلى الفواتح النصية مروراً إلى الخواتم النصية "قتلت المكان"، ويبدو فيها البحث منصبا على المكان المتهور الضائع المستلب.

وبذلك يتحول المكان عنده من حيز جغرافي وصورة طوبوغرافية إلى مخزون قيمي ونسق معرفي يستعرض التاريخ والقومية والعروبة، ويؤكد هاجس الهوية والانتفاء لدى الشاعر، خصوصاً إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتفاء الذي يمثل حالة الارتباط البدائي المشيمي برحم الأرض.

كما يزداد هذا الحس إذا ما تعرض هذا المكان للفقد والضياع والغربة، ولكن الشاعر الجزائري المهاجر «بصلايته وبعناده وبشعوره بالواجب وإصغائه لنفض الضمير الواعي المتدفق وطنية وإخلاصاً، يرى نفسه قادراً على تحدي جميع العقبات والعراقل.» (الجابري، 2005: 38) ولو كان بديار الغربة، فإن وطنيته وقوميته وعرويته هي التي تحرك قريحته، وتبعث فيه روح المسؤولية تجاه وطنه وأمته.

خاتمة:

- من أهم النتائج التي توصلنا إليها من مقارنة بعض النصوص الشعرية للشاعر "صلاح الدين مرزوقي" نذكر ما يأتي:
- الشعر هو الذي يحقق ذاته ويشبع حاجاته، وبدائله لا تغني شيئاً عنه، وهذا هو اليقين الماثل بقوة في وعي شعراء الجزائر المهجرين.
 - تجلت رسالة الدفاع عن الوطن والتغني بالانتماء إليه في المتن الشعري لصلاح الدين مرزوقي، رغم مواجهته لبعض التحديات والاضطرابات أحياناً.
 - ظلت قيمة الوعي الوطني ماثلة في ضميره وهو يطلق العنان لحلمه من عمق التساؤل عن هوم وطنه وتحولات القومية العربية.
 - عندما يتواجد شاعر مغترب كصلاح الدين مرزوقي بهذه القوة والمهارة والكفاءة، فإنه يستطيع أن يبرهن عن وطنيته وهويته وانتائه من بلاد الغربة بكل وضوح .
 - من مقارنة قصائد الشاعر، يتبين أنها موجهة للشباب العربي، حيث يشجعهم على التمسك بحلم الوحدة العربية، والالتزام بعناصر القومية والهوية العربية، وعدم الانفصال عن التاريخ العربي وآثره.
 - والقراءة الواعية لنصوصه الشعرية تكشف للمتلقي أبرز الملامح التي شكلت الخطوط الرئيسية لالتزام الشاعر بقضايا الوطن، والتحامه بجماعه.
 - إن المهم الوطني الجزائري عنده ليس موضوع مناسبات، بل هو هم يرافقه ويملك عليه كل لحظات حياته، وهو حينما يتحدث عنه لا يمس قضايا من الخارج بل يتعمق في تلمس قضايا المختلفة، ويحاول معالجتها بطرح فكر يستبدل الواقع المعيش بواقع أفضل وأحسن منه.
 - يعتبر صلاح الدين مرزوقي الهوية العربية والإسلامية عنصراً محورياً لوجود الأمة، مع التوجه نحو الفكر الديمقراطي الاجتماعي، ويؤمن بأن الأمة العربية وشعوبها تمثل وحدة متكاملة، تستمد قوتها من التاريخ المشترك والتراث الثقافي.
 - باختصار تتداخل في إنتاج ثلوث الوطن والهوية والانتماء عند صلاح الدين مرزوقي مجموعة من العوامل الفنية المهمة منها الرموز والألوان والأمكنة واللغة. وتتضافر تراكبات تاريخية ومعرفية وثقافية لتقديم صورة هذا الوعي في أنفاق النص الشعري للشاعر، لتؤكد كلها انتماء وتمسكه بوطنه وهويته ولسانه العربي.
 - ومما تجدر الإشارة إليه في الختام: أن في الشعر الجزائري المهاجر فضاءات كثيرة تستفز القارئ وتحمله على البحث فيها والكشف عنها، ليظهر عبقرية هؤلاء الشعراء وقدرتهم على دمج الجوانب المختلفة في قصيدة واحدة؛ فقد كان المهم الوطني الجزائري مرتبطاً بالهم القومي العربي، إذ اعتبروا أن حرية الجزائر تعني انتصاراً للأمة العربية كلها، والعكس كذلك صحيح، وغالباً ما تفتتح قصائدهم بحسرة على خراب الوطن كما لاحظنا ذلك عند مرزوقي، لتنتقل بعد ذلك للاحتفاء بمآثر الأمة والدعوة للتضامن مع قضاياها العظمى.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد منور. (2007). الأدب الجزائري باللسان الفرنسي "نشأته وتطوره وقضاياها". الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- 2- بشير مفتي. (2009, 12 21). حوار مع الشاعر. (صلاح الدين مرزوقي، المحاور) الجزائر.
- 3- صالح خرفي. (1984). الشعر الجزائري الحديث. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 4- صلاح الدين مرزوقي، ذاكرة المكان. موقع سمير بوكروش، يوم 12 جوان 2012م،
<http://aintaghroun.unblog.fr/2012/06/12/>
- 5- صلاح الدين مرزوقي. (2010, 02 14). وطن الموت. النهار الجديد ، 16:37. [/https://www.ennaharonline.com](https://www.ennaharonline.com)
- 6- صلاح الدين مرزوقي: علميني سيدتي، موقع سمير بوكروش يوم 29 مارس 2010م.
<http://aintaghroun.unblog.fr/2010/03/29/> 13:45
- 7- صلاح الدين مرزوقي: لا شيء في قصائدي يستحق الشعر، موقع كلمات، يوم 04 أكتوبر 2014، تاريخ التحديث (27 11, 2025)،
[كلمات: https://kalimates.com](https://kalimates.com)
- 8- صلاح فضل. (2002). تحولات الشعرية العربية. بيروت: دار الآداب.
- 9- صلاح فضل. (1998). نبرات الخطاب الشعري. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- 10- عتدال عثمان. (1988). إضاءة النص. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- محمد صالح الجابري. (2005). الأدب الجزائري المعاصر. بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.
- 12- هجيرة مرسل. (2010, 02 14). حوار مع الشاعر. (صلاح الدين مرزوقي، المحاور)
<https://www.djazairess.com/ennahar/57976>